مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 15 العدد: 02 السنة 2023 ص 716 - 735

تاريخ الإرسال: 2022/10/19 تاريخ القبول: 2023/01/17
تاريخ النشر: 2023/06/03

الملامح الفكرية والمصطلحات اللسانية السوسيرية الجديدة في ضوء المخطوطات المكتشفة والكتابات الراهنة

Intellectual features and the new Swiss linguistic terminology in the light of the discovered manuscripts and current writings

مفيدة بن وناس[1]
جامعة الطارف (الجزائر)، m.benounas@univ-eltarf.dz
مخبر التراث والدراسات اللسانية – كلية الآداب واللغات

الملخص:

يكشف النفس التصاعدي "للسوسيرية الجديدة*"عن وعي اللسانيين بأهمية البحث عن فكر سوسير الأصيل في مخطوطاته المكتشفة، التي باتت المنفذ الحقيقي لسوسير العائد من جديد إلى صدارة الاهتمام، وفي هذا السياق فإن حدقة الرصد يستلفت نظرها البحث عن الملامح الفكرية الأصيلة البارزة لسوسير، وتقديم المصطلحات اللسانية الجديدة التي كشفت عنها مخطوطاته، وتناولتها الكتابات اللسانية الراهنة، نحو: الرباعيات، الإدماج، التوازي، الترادف...إلخ.

فالمخطوطات فتحت عهدا جديدا، ومنحتنا مداخل نظر جديدة للسانيات والسيميائيات، وهي تفرض ضرورة العودة إلى فكر سوسير، إنها عودة حقيقية تهم راهن اللسانيات وتوجه مستقبلها، وهي مرهونة بضرورة مواصلة قراءة نصوص سوسير، لصياغة خريطة معرفية للسانيات في ضوء التلقيات السوسيرية الجديدة.

الكلمات المفتاحية: سوسير، الملامح الفكرية، المصطلحات اللسانية، المخطوطات.

Abstract:

The ascending breath of the "New Swisser" reveals the awareness of linguists of the importance of searching for Saussure's original thought in his discovered manuscripts, which has become the real outlet for Saussure, who is returning to the forefront of attention. The new ones revealed by his manuscripts, and dealt with by the current linguistic writings, towards: quatrains, merging, parallelism, tandem...etc.

The manuscripts opened a new era, and gave us new perspectives on linguistics and semiotics, and they imposed the necessity of returning to Saussure's thought. It is a real return that concerns the current of linguistics and directs its future, and it is subject to the need to continue reading Saussure's texts to formulate a knowledge map of linguistics in the light of the new Swiss receptions.

Keywords: Saussure, intellectual features, linguistic terms, Manuscripts.

مفيدة بن وناس، الإيميل: m.benounas@univ-eltarf.dz

1.مقدمة:

يظل سوسير(Ferdinand de Saussure 1857-1913) بين اللسانيين أكثر من يقرأ ويترجم له، لقد كان كاتبا أسطوريا محفزا على التفكير باعثا عليه، ولا يزال في التقدير العام للدارسين قاعدة مرجعية يحددون من خلالها ما قبل سوسير وما بعده في المناهج والدراسات، وقد استطاع أن يصوغ من النظريات والمفاهيم السابقة والمعاصرة له جهازا مفاهيميا دقيقا، فنشأت «الاتجاهات اللسانية اللاحقة لسوسير انطلاقا من تطوير لآرائه، أو من جدل معها، حتى إن الباحث لا يجانب الصواب إذا جزم بأن كل ما كتب في قضايا اللغة بعد سوسير يمت إلى آرائه بسبب»[1].

لقد نشرت دروسه عام 1916 في كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) بفضل شارل بالي (charles Bally) وألبير سيشهاي(sechehaye Albert)، وأحدث الكتاب بعد رواجه وترجمته تأثيرا بليغا في مسار اللسانيات «فنشأت عنه النظريات، وقامت حوله المدارس، وسار في الناس كالعلم يهتدى به»[2].

وظل الكتاب المنفذ الذي يحيل على فكر سوسير، وبقدر ما كان حاسما في تلقي تصوراته وشيوعها عالميا، بقدر ما كان مصدر سوء فهم وجدل في تلقيها[3].

وبفضل الأعمال التي قدمها روبرت غودل (Robert Godel) ورودلف انغلر (Rudolf Engler) تشكل منعرج حاسم في إعادة قراءة فكر سوسير وتأويله، وأتاح التتبع التوثيقي رصد التكثيف والاختصار، أو الزيادة والحذف التي أجراها الناشران مقارنة بمصادرها الأصول، وأصبح الكتاب في ضوء النصوص الأصول الكاملة قابلا لتلق مغاير.

وفي ظل هذه الجهود التي تروم إعادة تصور عام للمتن السوسيري نهض سوسير من جديد، ففي مشتل البرتقال بالمنزل الذي عاش فيه سنواته الخمس الأخيرة تم العثور على مخطوطاته عام 1996، وقد تبين بعد فحصها أنها تحتوي على نصوص ومسائل فريدة، وقد أحدثت حركة علمية ما تزال تزداد وتيرتها، وقد أتاحت لنا «فهما أفضل لنوع اللسانيات التي استشرفها دي سوسير، وللمدى الذي وصلت إليه إساءة فهمه على يد كثير من ناقديه ومعجبيه على حد سواء»[4] وكانت فرصة لإعادة قراءة الفكر السوسيري وفق تصور جديد تحكمه ضرورة تجاوز محاضرات اللسانيات العامة.

وفي ضوء متن مستعاد صارت العودة إلى سوسير حاضرة بقوة، والتساؤلات تفرض نفسها، فما الذي أضافته اليوم النصوص المكتشفة إلى معرفتنا بلسانيات

سوسير؟ وما هي الملامح الفكرية التي كشفت عنها النصوص الجديدة والكتابات اللسانية الراهنة؟ وما الجديد الذي تحمله من مصطلحات لسانية تعبر عن تصوراته ومفاهيمه؟ وعليه ينتظم المقال على النحو الآتي:

2-العودة إلى سوسير في ضوء المخطوطات المكتشفة:

اتسمت حركة العودة إلى سوسير بالبحث عن سوسير الحقيقي(Le vrai Saussure)، أو سوسير الأصيل(Saussure l'authentique) مقابل سوسير الخيالي(Saussure fictif)، وكانت الغاية منها التدقيق وتوثيق كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) في ضوء نصوصه الجديدة التي ظهرت منذ 1957، وقد كانت البداية مع رواد أبرزهم غودل وإنغلر وتوليو دومورو (Tullio De Mouro).

وتقوت العودة إلى سوسير مع مسودات نصوصه المخطوطة التي عثر عليها سنة 1996، فأصبح «لا غنى لدارس لسانيات سوسير عن مئات الدراسات النقدية التي باتت تندرج في إطار ما يعرف الآن في الأدبيات السوسيرسة بأرشيف دوسوسير(Archives de Saussure) ومتن دوسوسير(Corpus de Saussure)»[5]، والمقصود بأرشيف سوسير النصوص المرتبطة بشخصيته وفكره، وأيضا النصوص التي اعتمدها في الأبحاث الجامعية وإعداد دروسه في النحو المقارن وتاريخ الألسن الهندوأوربية، وفي اللسانيات العامة وغيرها من المجالات المعرفية[6].

أما المتن السوسيري فيتضمن «النصوص التي كتبها سوسير شخصيا وهي في الغالب مسودات مقالات، أو دراسات تتضمن ملحوظات عامة في موضوعات تتعلق بألسن قديمة، أو فصول تامة أو غير تامة من كتب شرع في تأليفها في اللسانيات العامة وغيرها»[7]. وتعد النصوص التي كتبها سوسير بخط يده نصوصا أصلية (Authentique).

ومع مطلع القرن الحادي والعشرين عرفت مخطوطاته انتشارا مثيرا وإقبالا متزايدا و«أهم ما احتوت عليه هذه المخطوطات مشروع لكتابه في اللسانيات العامة، ولقد وجد هذا المخطوط معزولا عن البقية في غلاف بداخله بطاقة مكتوب عليها (علم اللغة science du Langage) بالإفراد، كما احتوت بعض ورقات المخطوط على عبارات(De la double essence du langage)، أو(Double essence)، أو(Essence double du langage)»[8] وقد نشر المخطوط سنة 2002 بعنوان: (كتابات في اللسانيات العامة) وهو محقق من قبل سيمون بوكي ورودلف إنغلر، ويتضمن مجموعة من الوثائق التي تم ترتيبها وإخراجها موزعة في كتاب من أربعة أقسام، كالآتي: [9]

–القسم الأول: (في الماهية المزدوجة للغة) ويضم مجموعة كبيرة مما عثر عليه في ظرف واحد، وقد وضعت على بعض الأوراق عبارة (عن الطبيعة المزدوجة للغة).

–القسم الثاني: (مواد ومأثورات) فيه مواد قديمة وأخرى حديثة الاكتشاف مأخوذة من أرشيف المكتبة الوطنية الجامعية.

–القسم الثالث: (كتابات أخرى في اللسانيات العامة).

–القسم الرابع: (ملاحظات تمهيدية لدروس في اللسانيات العامة، وثائق جديدة).

وقد لاقت طبعة إنغلر وبوكي نجاحا واسعا وإقبالا متزايدا، وهي « لم تقدم نفسها أبدا بوصفها طبعة نقدية، بل قدمت نفسها على أنها بمثابة مجموعة كتابات اللسانيات العامة، التي يتبوأ فيها عن جوهري اللغة بالتأكيد موقع الصدارة»[10] وقد تُرجم الكتاب في أقل من عقد إلى عشرات الألسن الأجنبية، منها العربية؛ حيث ترجمه وقدم له بمقدمات في الفيلولوجيات السوسيرية مختار زواوي بعنوان (نصوص في اللسانيات العامة) وهو يضم مجموع نصوص سوسير الجديدة، كما ترجم كتاب

(De L'Essence Double Du langage) إلى العربية بعنوان (في جوهري اللغة) في إطار مشروعه الرامي إلى نقل كتابات دوسوسير الجديدة إلى اللسان العربي.

لقد كان صدور الكتاب مناسبة لتجديد العودة إلى سوسير، وتزامن ذلك مع احتفال الأوساط العلمية بمئوية صدور كتاب سوسير، فظهرت كتابات توجه النظر من جديد إلى سوسير موضوعا للمستقبل، مثل كتاب فرانسوا راستي (François Rastier) الذي صاغ له عنوانا لافتا بعبارة مسجوعة (Saussure au Future)، وأكد راستي أن هذه النصوص «علينا قراءتها وتأويلها وتقويم مضامينها بالرجوع إلى تاريخ تحريرها (سنوات 1890 على وجه الاحتمال) وكذا بالرجوع إلى المتن السوسيري، بل وبالرجوع إلى تاريخ السوسيرية ومستقبل اللسانيات»[11].

وهكذا نما المتن السوسيري الذي يمثل قربا فعليا وملموسا من سوسير الحقيقي، الذي تم الإلحاح بقوة من الدارسين على ضرورة العودة إلى نصوصه الأصلية، «إنها العودة الأبدية إلى سوسير»[12] على حد تعبير ميشال أريفيه (Michel Arfay)، لقد أصبح «بالإمكان في ضوء النصوص الجديدة المتاحة الآن تشكيل ملامح جديدة للسانيات سوسير على نحو مختلف نسبيا عن الخطوط العامة التي سبق رسمها في النصف الأول من القرن العشرين، وبوسع أي قارئ أن يطلع اليوم على الصورة الأصلية لنصوص سوسير، وأن يضعها في المنظور الزمني الفعلي الذي ألقيت فيه»[13].

إن العودة إلى سوسير يكمن مغزاها الحقيقي في العودة إلى سوسير الأصيل، وهي «تهم حاضر اللسانيات والسيميائيات كما أنها موجهة لمستقبل البحث في هذين الحقلين المعرفيين»[14] وهي ضرورية لرسم المعالم المستقبلية للسانيات، والنفاذ إلى فكره متاح في ضوء مخطوطاته التي قضى سنين عددا في تدوينها.

3-الملامح الفكرية السوسيرية الجديدة وفقا للمخطوطات المكتشفة:

كان اكتشاف المخطوطات مبررا لإعادة النظر في الفكر السوسيري، وفرصة لقراءة وإعادة تصور عام للمتن السوسيري، لقد فتحت المخطوطات عهدا جديدا، وهي تفرض ضرورة العودة إلى سوسير لفهم مشروعه الذي يرى راستي أنه لم يفهم بعد، وبالتالي فهو ما يزال في حاجة إلى تعميق النظر، يقول: «فسوسير لم يُتجاوز: إما لأننا لم نكلف أنفسنا عناء قراءته، وإما لأننا لم نستوعب جذريته المؤسسة، لكوننا لم نعرف كيف نعيد بناء الرهانات الأساسية لفكره، وإما أخيرا، لأننا لم نضبطه بشكل يمكننا من نقده وتجاوزه: عودة حقيقية ستقود إلى الأمام»[15].

لقد تنوعت وتعددت واجهات سوسير وفكره واحد، فكر عميق ينم عن اطلاع واسع على ثقافة عصره، وغدا بإمكاننا تشكيل ملامح فكرية جديدة للسانيات سوسير تختلف نسبيا عن الصورة التي رسمت في نشرة (1916)، إنها ملامح فكرية أصيلة مصدرها النصوص الحقيقية لسوسير التي أعادت الصلة من جديد بفكرة الأصيل. وخاصة كتاب (في جوهري اللغة) الذي «يعبر عن مرحلة حاسمة من مراحل تطور فكر دوسوسير اللسانياتي والسيميائياتي، ومحطة بارزة من محطات مشروعه»[16]، وباتت النصوص الجديدة أفضل المسالك إلى سوسير وأوثقها صلة به، فهي منفذ لرسم المعالم الرئيسة التي شكلت نسقه الفكري، ولذلك يجب البحث عن الملامح الفكرية لسوسير في ضوئها وبالاستناد إلى كل المتن السوسيري، بما حوى من نصوص قديمة وجديدة، وتتبع القراءات اللسانية الراهنة؛ لأن فكر سوسير متعدد ومتنوع لساني سيميائي وفلسفي، ومن أهم هذه الملامح نذكر:

3-1-ملمح الحركية المتجددة والتحول المستمر والطابع التطوري لفكر سوسير:

تعكس دفاتر الطلبة والنصوص الجديدة الحركية المستمرة التي عرفتها تأملات سوسير، لقد كان فكره «أثناء إلقاء دروسه في اللسانيات في تطور مستمر جعل تأملاته عبارة عن نشاط ذهني ذائب لا يتوقف لحظة عن سبر أغوار سراديب اللغة ومتاهاتها، مسكونا برغبة جامحة في رصد وتقنين خبايا الطبيعة الملازمة (لأشياء اللغة) والقضايا المرتبطة بمعالجها»[17].

كان سوسير في حركة فكرية متواصلة، ولم يكن يتردد أن يعدّل أو يصحّح ما قاله شارحا سبب التعديل أو الإضافة التي يلجأ إليها، وكان أحيانا أخرى يقرّ بعدم قدرته مرحليا على الحسم في بعض الإشكالات، و«لعل الفارق الزمني بين فترات إلقاء الدروس الذي امتد خمس سنوات، أتاح لسوسير أن ينمي تصوراته و يعمل على تطويرها، ساعيا باستمرار إلى انضاجها؛ وذلك إما بتعميق التأمل فيها أو بتغييرها، أو بإعادة صياغتها أو باستبدال بعض المفاهيم والمصطلحات بأخرى بديلة عنها، أو التخلي عنها نهائيا حين يلاحظ أنها قاصرة في الإحاطة بما كان يرغب فيه»[18].

وأبانت النصوص الجديدة سيرورة السياق المعرفي لدروس سوسير ومساراتها، لقد كانت دروسه تقوم على فلسفة تصورية تختلف من درس إلى آخر، ومن عام إلى آخر، كما يلي: [19]

-قدم في العام الأول(1907) دروسا تدور في مجملها حول تطور الأصوات والصيغ والقياس، وعرض لها من زاوية نقدية مغايرة ليكشف حدود المقاربة التاريخية.

-دروس العام الثاني (1908-1909) تنطلق من مبدأ تصوري ومنهجي مخالف تماما يتمثل في إبراز أهمية المنظور السيميولوجي الذي يفترض أن تعالج في ضوئه أنساق العلامات كمؤسسات إنسانية تاريخية واجتماعية وثقافية.

–عمل في دروس العام الثالث (1911–1910) على إبراز أهمية المنظور النسقي والقيمي للسان، بوصفه نسقا من القيم له قوانين ونظام انتقال وتطور يساير طبيعته.

وكشفت النصوص الجديدة انتقاله من تصور اللسان كنسق من العلامات في دروس العام الأول إلى (اللّسان كنسق من القيم) في دروس العام الثاني، وعاد في نهاية دروس العام الثالث إلى الالحاح بقوة على تحديد (اللسان كنسق من القيم)، ونبه «إلى أنّ الطريقة التي اتبعها لم تكن صائبة من الناحية التصويرية، لا ينبغي أن نبدأ بالكلمة أو الحد terme لنستنتج النسق»[20] يجب الانطلاق على العكس من ذلك؛ أي من النسق ومن الكل المترابط.

وهكذا غير وجهة نظره، وهذا يعد بمثابة قطيعة ابستمولوجية بين مضامين دروس العام الأول ودروس العامين التاليين، كان فكر سوسير في حركية متجددة لكن بالي وسيشيهاي لم يكترثا بمثل هذه التحولات التصورية في دروسه، لقد «أهمل ناشرا دروس هذا التحول الطارئ في تصور سوسير ليتم الاحتفاظ بتصوره الأول عن طبيعة اللسان، فكان أن قدما نظريته في العلامة بشكل يناقض المقاصد المعبر عنها في تعاليمه الشفهية حسب ملحوظات الطلبة»[21] وكان لكل هذا أثره البالغ في تجاهل التحول النظري الذي أجراه في تعامله مع قضايا أساسية في اللغة، لقد كان فكره عبر امتداد سنوات التدريس في حركية متجددة، وتحول مستمر، ولكن نشرة(1916) لم تمنح تأملاته الصورة النابضة بالتجدد والحيوية.

3–2–ملمح التردد والقلق الفكري عند سوسير:

استطاعت النصوص الجديدة أن تؤكد بما لا يدع مجالا للشك ملمح التردد والتكرار، والقلق الفكري عند سوسير، ويقر الدارسون لها «بأن التردد الفكري والقلق المعرفي اللذين أبداهما سوسير في جميع النصوص التي كتبها يمثلان القاسم

المشترك بين سوسير الرجل، وسوسير الصورة، وسوسير الحقيقي»[22] إنه التردد المؤلم[23] الذي سكن الرجل حقبة غير قصيرة من حياة كتب لها قدرها أن تكون قصيرة أصلا.

لقد كان سوسير مترددا كثيرا عند تدوين ما عنّ له من أفكار جديدة، وكان لتردده آثار سلبية على تصوراته؛ لأنه زاد من حدة غموض مواقفه إزاء المسائل الجوهرية في اللغة، وفي اللسانيات العامة، إنه تردد وقلق كشفت عنه كتاباته الجديدة وخاصة (في جوهري اللغة)، مرجعه أن سوسير أيقن انعدام أية حقيقة أولية متفق عليها في اللسانيات، كوجهة نظر يمكن الانطلاق منها باطمئنان، يقول: «يبدو في الواقع مستحيلا في اللسانيات تفضيل إحدى الحقائق على غيرها حتى تغدو المنطلق الأول، لكن ثمة حقائق أساسية، خمس أو ست متصلة فيما بينها اتصالا وثيقا، بحيث يحسن البدء بأي منهن فنصل منطقيا إلى الأخريات، ونصل إلى كل النتائج نفسها كما لو بدأنا بأي حقيقة أخرى»[24].

ويبلغ به الشكّ والتّردد درجة التساؤل عن مشروعية البحث اللساني نفسه، يقول: «هل تستحق ظاهرة اللغة في ذاتها، سواء في تجلياتها المختلفة أم في قوانينها العامة التي لا يمكنها البتة أن تستنتج إلا من أشكالها الخاصة، أن تدرس أم لا؟»[25]. إنها مساءلة مستمرة متجددة، وشك عارم انتابه خلال التفكير في المسائل اللسانية رغبة منه في تجديد المفاهيم، وتأسيس لسانيات جديدة، إن سوسير حسب جاكبسون يمثل الشكاك الكبير (Le grand douteur) الذي يرى دائما في المسائل المدروسة جانبين[26]، وهذا الشك يحمل في ثناياه تخوفا يرتكز على نقد لا يعرف التوقف ما دامت المسائل المبحوث فيها لم تستقر في ذهنه بشكل نهائي.

وإذا كانت النصوص الجديدة والكتابات اللسانية الراهنة، تحيل على ملمح التردد والقلق الفكري عند سوسير، فإن بالي وسيشهاي «حاولا إزالة ملامح الغموض

والابهام والتردد القلق، وأحيانا التضارب والتناقض الذي كان يلف خطاب سوسير في دروسه، مستعملين كل الوسائل اللغوية والمعرفية لتحقيق هذه الغاية»[27] وسمحا بإخفاء معالم التوجس والتردد، وسكتا عن المعاناة الفكرية والحرص الشديد الذي ميز طريقة سوسير في معالجة قضايا اللغة، وما يؤاخذان به «أنهما سعيا إلى تقديم لسانيات سوسير في صورة متجانسة لا تشوبها أية نواقص تصورية أو منهجية، سواء فيما يخص تحديد المفاهيم الأساس، أو طريقة عرضها والاستدلال على صحتها»[28] وقدما أفكار وتصورات سوسير باعتبارها لسانيات مكتملة الصياغة، تتسم بالتماسك والتجانس، في حين سوسير الحقيقي كان يرفض بقوة إدعاء وجود فكر نهائي، وكانت تأملاته في نشاط ذهني مستمر.

3-3- الملمح الفلسفي لفكر سوسير:

أظهرت النصوص الجديدة عمق تصور سوسير، وتعدد ملامح فكره وتنوعها، وكشفت حواره المستمر مع تصورات الفلاسفة، والفلسفة المقصودة بالتحديد هنا هي (فلسفة اللغة) التي تتقاطع مع اللسانيات، والسيميائيات، في العديد من المسائل، ويراد بها «جملة من الأفكار ذات الأصول المتعددة كتلك التي تناقلها الفلاسفة وهم ينظرون في اللغة... أو تلك التي ارتبطت بالدور الذي تضطلع به اللغة العادية، أو أيضا تلك التي انضوت ضمن ما أضحى يسمى بفلسفة اللسانيات»[29] وقد ناقش سوسير مسائل يمكن إدراجها ضمن فلسفة اللسانيات ولكنها «إسهامات مغيبة، لم تنل اهتمام الباحثين إلا لماما، على الرغم من أن دوسوسير ما انفك في محاضراته في اللسانيات العامة يؤكد على المنحى الفلسفي الذي سلكته أطروحاته»[30]. ويعتبر غياب بالي وسيشهاي عن محاضراته، وتعذرهما متابعتها، وقلة المصادر الأصول التي استعانا بها في صياغة أفكاره من الأسباب التي أدت إلى عدم إدراكهما لهذا الملمح الفلسفي، ومع نشر وتحقيق النصوص

الجديدة، وبالاستناد إلى دفاتر الطلبة تبين أن سوسير كان يردد في دروسه عبارة فلسفة اللسانيات، وتعتبر مسألة أصل اللغة واحدة من المسائل الفلسفية التي راودت تأمله منذ سنين مبكرة.

4-المصطلحات اللسانية السوسيرية الجديدة:

يحرص الدارسون في سياق البحث عن سوسير الأصيل على الانطلاق من نصوصه المنشورة سنه 2002، فهي تحمل في مضامينها مصطلحات لسانية جديدة، وخاصة كتابه (في جوهري اللغة).

ويبدو أن سوسير كان كثير الشكوى من الصعوبات التي تثيرها المصطلحات اللغوية الشائعة في لسانيات عصره، فقد تحدث عن جمود المصطلحية اللغوية الرائجة وضرورة اصلاحها، وكان يدرك قوة الصعوبات الاصطلاحية في الحيلولة دون أي بناء جديد للسانيات «ولكنه استمر في استخدام مصطلحات عصره بالرغم من النقد الذي وجهه للمصطلحات اللغوية الموروثة عن النحو المقارن والنحو التاريخي، وقد يكون لجوؤه إلى المصطلحية المتداولة راجعا إلى أنه لم يكن يمتلك مصطلحات جديدة جاهزة للتعبير عن مفاهيمه الجديدة»[31].

لقد عانى سوسير كثيرا من الهواجس الاصطلاحية التي شغلته باستمرار بحثا عن ألفاظ دقيقة مناسبة للتعبير عن تصوراته ومفاهيمه الجديدة، وكحل لذلك كان يلجأ إلى مصطلحات الرياضيات، والكيمياء والفيزياء، وغيرها من علوم عصره، فيضفي عليها دلالات مناسبة، ورغم ذلك قدم بالي وسيشهاي في كتاب المحاضرات المصطلحات اللغوية السوسيرية في صورة نهائية ثابتة «غير عابئين بالقلق الاصطلاحي الشديد الذي عبر عنه قبل الشروع في إلقاء الدروس نفسها بأكثر من عقد من الزمان، وما بذله من جهد متواصل في التصنيف والتوضيح الاصطلاحي لـ(أشياء اللغة)»[32].

إن ما يميز لسانيات سوسير الأصيل حضور مصطلحات جديدة، مثل تلك التي أشار إليها تيليو دومورو (Tilio Domoro) بمناسبة مقدمته للترجمة الإيطالية لكتاب (في جوهري اللغة)، فقال: «لقد كنا ألمحنا إلى وجود أشياء جديدة في كتابات دوسوسير في اللسانيات العامة مقارنة بما نعلمه من فكره، إن ثمة على الأقل أربعة مصطلحات ومفاهيم جديدة وجب التنويه بها»[33] والمصطلحات المقصودة، هي: الرباعيات، التوازي، الترادف، الإدماج.

إن الكتاب يستعرض مصطلحات ومفاهيم جديدة تناقلتها فقرات موجزة، وأخرى تفاوتت في الطول، ومن المصطلحات الواردة فيه، نذكر: الكلام الحقيقي، الكلام الكامن، التوازي، الإبدال، التماثل، القيم النسبية، وجهة نظر، الترادف، الجوهر، الاختلاف والكيانات، المماثلة التأثيلية، التحول القياسي، الإدماج، الرباعيات، الانعكاس ...إلخ، وقد وضحها مختار زواوي من خلال الترجمة، وسنخص بعضا منها بالشرح على سبيل التمثيل.

4-1-الرباعيات:

الرباعيات مصطلح جديد ظهر على إثر نشر كتابات سوسير الجديدة، وهو مستقدم من الرياضيات وأضفى عليه سوسير دلالة جديدة حتى يندرج ضمن نسق المفاهيم التي شيّد بها نظريته اللسانية، وهو مصطلح توارد في أدبيات رياضيات القرن التاسع عشر، وقد وضحه روسو كاردونا (Rosso Cardon) قائلا: «إن الرباعيات تعد وسيلة رياضياتية تمكن من تمثيل أنساق من العلاقات القائمة بين متغيرات، لا تتحدد قيمتها إلا بالعلاقات التي تقيمها فيما بينها»[34].

وحسب مختار زواوي يبدو أن سمة القابلية على تمثيل أنساق العلاقات، هي التي استرعت انتباه سوسير، وجعلته يجتهد في استثمار مفهوم الرباعيات، خاصة وأن وظيفة الرباعيات لا تقتصر على تمثيل أنساق العلاقات القارة، وقد استخدمها

الرياضيون لتمثيل أنساق العلاقات التي هي في حالة تحول دائم. وكون الرباعيات تمثل أنساق العلاقات التي هي في حالة تحول دائم، يبرر لجوء سوسير لهذا المصطلح، وينسجم كل الانسجام مع الجدلية التي باتت تشغل باله في تلك المرحلة ذاتها من مراحل تطور فكره، وهي الجدلية القائمة بين الآنية والدياكرونية التي تناول جوانب منها في كتابه (في جوهري اللغة)، وأيضا اللجوء الى هذا المصطلح له وظيفة سيميائية تتصل بطبيعة العلاقة القائمة بين مكوني العلامة اللسانية الدال والمدلول[35].

والنص الذي ورد فيه مصطلح الرباعيات مجتزء من كتابه، وينتمي إلى الفقرة التي اقترح لها المحققان العنوان الآتي: (الشكل–الصورة السمعية) وتَمثلُ المفهوم الذي ينطوي عليه المصطلح لا يتحقق إلا بتمثل الفقرة التي ورد فيها، يقول سوسير: «إن التعبير الأول عن واقع الأمور أن يقال أن اللسان (أي الفرد المتكلم) لا يدرك لا الفكرة **a**، ولا الشكل **A**، إنما يدرك العلاقة $\frac{a}{A}$، لكن التعبير هذا يبقى تعبيرا مهما لأن الفرد المتكلم لا يدرك فعلا إلا العلاقة القائمة بين العلاقات $\frac{a}{AHZ}$ و$\frac{abc}{A}$ ، أو $\frac{b}{ARS}$ و$\frac{blr}{B}$ وما إلى ذلك وهذا ما نسميه بالرباعيات الأخيرة (Quaternion Final)، أو العلاقة الثلاثية الدنيا، إذا ما نظرنا في العلاقات القائمة بين العبارات الأربع. ولعلنا نجانب الصواب لو لم نسع إلى اختزال النسب الأربع هذه إلى نسبة واحدة، لكن ذلك قد يفوق قدرات اللغوي»[36] ولتفسير المصطلحات السابقة يجب أولا أن نحدد الدلالات التي تنطوي عليها، والعلاقات التي أقر بها سوسير، وهي العلاقة$\frac{a}{AHZ}$ ، والعلاقة $\frac{abc}{A}$، وأخيرا العلاقة القائمة بين العلاقتين، بقوله:[37]

–إن الرمز **a** يدل به على الصورة الصوتية التي تمكن من تمييز المعنى **A** الذي هو معنى متأرجح يتقاسمه المعنيين المتواجدين **H** و**Z**.

–إن الرمز **A** يدل على معنى يمكن من تمييز الصورة الصوتية، التي هي صورة متأرجحة تتقاسمها الصورتين الصوتية **b** و**c**.

–إن ضم العلاقتين إلى بعضهما هو فحوى العلاقة القائمة بينهما في زمن معلوم، ومن ثمة يمكن رد العلاقات الثلاث إلى علاقة واحدة.

ولكي نتمثل لجوء دوسوسير إلى مفهوم الرباعيات والدور الذي يضطلع به لابد أن نعرج على تمييزه بين الصورة الصوتية (Figure vocale) والشكل (Forme) ويعد هذا التمييز إحدى الركائز الرئيسة التي يمكن أن يؤسس عليها البحث اللساني، وهو يشبه بالتمييز الذي استند عليه الخليل في وضع معجمه، وهو (الفصل بين المستعمل والمهمل من ألفاظ اللسان العربي)، فالخليل انطلق من مبدأ رياضي يستند إلى تركيب الحروف في ألفاظ ثنائية، وثلاثية، ورباعية، وخماسية مستقصيا كل التراكيب، حتى إذا ارتسمت أمامه مدونة الألفاظ فتأملها فما ألفاه مستعملا أبقى عليه، وما كان دون ذلك أهمله[38].

4–2–الإدماج:

ورد مصطلح الإدماج ضمن المبحث المعنون بـ: (الإدماج أو ما بعد التأمل– الانعكاس)، وهذا المفهوم يلخص كل الحياة النشطة للغة، والتي من خلالها:

توحي العلامات الموجودة من خلال وجودها والوضع العرضي لاختلافاتها في كل لحظة من لحظات اللسان، عددا متساويا، ليس من المفاهيم، بل من القيم المتقابلة، وتتحول هذه المقابلة القائمة بين القيم والتي تعد واقعة سالبة إلى واقعة موجبة؛ لأن كل علامة باستدعائها تضادا من مجموع العلامات الأخرى المقارنة في

مرحلة زمنية ما، بدءا بالأصناف العامة وانتهاء بالأصناف الخاصة تجد نفسها محددة، على الرغم منا في قيمتها الخاصة[39].

ويقدم سوسير مثالا لتوضيح الرؤية أكثر، قائلا: «ومن ذلك مثلا لو كان لسان ما مكون فقط من علامتين **ba** و**la**، فإن مجموع مدركات الذهن تأتي لتنتظم إما وفقا لـ **ba** أو وفقا لـ **la**، ويجد الذهن لمجرد وجود اختلاف قائم من بين **ba** و**la** وعدم وجود اختلاف آخر، طابعا مميزا يسهم في تصنيف كل شيء ضمن الأول، أو ضمن الثاني، (من مثل التمييز بين الصلب وغير الصلب)، وفي هذه الحالة فإن مجموع معرفته الموجبة ستكون ممثلة بالطابع المشترك إلى الأشياء **ba** والطابع المشترك الذي يسنده إلي **la**، وإن هذا الطابع موجب، بيد إنه لم يبحث أبدا، في حقيقة الأمر، إلا على الطابع السالب الذي يسهم في الاختيار بين **ba** و**la**. كما أنه لم يكن يسعى إلى الجمع والتنسيق، بل كانت غايته التمييز ليس إلا، وإنه فضلا عن ذلك لم يكن يسعى إلى التمييز إلا لأن وجودا ماديا لعلامة مختلفة أدركه دعاه إلى ذلك وألزمه»[40].

5-خاتمة:

وفي ختام هذه الورقات البحثية، نؤكد أن:

-الحديث عن سوسير وعن لسانياته وفكره، ومصطلحاته اللسانية يتطلب الرجوع إلى ما أصبح متاحا للدارسين من نصوصه الجديدة، التي باتت أفضل المسالك وأوثقها صلة به.

-تعبر النصوص الجديدة عن فكره الأصيل وتصوراته ومفاهيمه اللسانية وتحمل وجهات النظر التي أفاض فيها.

-أتاح النشر الجزئي لمخطوطاته بعد تحقيقها، تعميق المعرفة بفكره الأصيل وكشف عن ملامح فكرية جديدة، أبرزها ملمح الحركية المتجددة والتحول المستمر،

والتردد والقلق الفكري، بالإضافة إلى الملمح الفلسفي والاهتمام بعلوم عصره والاستعانة بها لفهم حقيقة الظواهر اللسانية.

-تبين أن نصوصه المكتشفة تحمل في مضامينها مصطلحات لسانية جديدة، نحو: الرباعيات، التوازي، الترادف، الإدماج ...إلخ، وهي في الغالب مستقدمة من الرياضيات أضفى عليها دلالات تتناسب مع نظريته اللسانية.

6-الهوامش:

*مصطلح "السوسيرية الجديدة" بدأ استعماله مع أماكر من خلال عمله "اللسانيات السوسيرية" الذي صدر عام 1974، وتحول إلى برنامج بحث دافع عنه سيمون بوكي وفرنسوا راستي، وهو يركز على أعادة قراءة سوسير في ضوء الاكتشافات الجديدة، وخاصة ما جمعه مؤلف (كتابات في اللسانيات العامة) الصادر سنة 2002.

(1) حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي -التلقي العربي للسانيات-، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط1، 2019، ص 61.

(2) فرديناند دوسوسير، في جوهري اللغة، تحقيق: سيمون بوكي ورودلف أنغلر، ترجمة: مختار زواوي، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2019، ص 66.

(3) مصطفى غلفان، دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير (نشره 1916) -قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول، مجلة أنساق، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، المجلد الثاني، العدد الأول، فبراير 2019، ص 137.

(4) وليام كراسكو، النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف دي سوسير، ترجمة: محي الدين محسب، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2017، ص 363.

(5) مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2017، ص 43.

(6) ينظر: نفسه، ص 133.

(7) نفسه، ص 133.

(8) فرديناند دوسوسير، في جوهري اللغة، ص 68.

(9) حسين السوداني، أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي –التلقي العربي للسانيات–، ص 298، 299. وينظر: فرديناند دوسوسير، نصوص في اللسانيات العامة، تحقيق: سيمون بوكي ورودلف أنغلر، ترجمة: مختار زواوي، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2021، ص 07.

(10) فرانسوا راستي، سوسير في المستقبل، ترجمة: ربيعة العربي وحافظ إسماعيلي علوي، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2021، ص 36.

(11) المرجع نفسه، ص 22.

(12) مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 17.

(13) المرجع نفسه، ص 17، 18.

(14) فرانسوا راستي، سوسير في المستقبل، ص 12.

(15) المرجع نفسه، ص 191.

(16) فرديناند دوسوسير، في جوهري اللغة، ص 50–51.

(17) مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 279.

(18) المرجع نفسه، ص 289.

(19) ينظر: المرجع نفسه، ص 279.

(20) المرجع نفسه، ص 281.

(21) المرجع نفسه، ص 282.

(22) المرجع نفسه، ص 81. وينظر: ميشال أريفيه، البحث عن فردينان دوسوسير، ترجمة: محمد خير البقاعي،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،لبنان، ط1، 2009، ص26.

(23) ينظر: ميشال أريفيه، البحث عن فردينان دوسوسير، ص 73، هامش 18.

(24) فرديناند دوسوسير، في جوهري اللغة، ص 156.

(25) مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 83.

(26) المرجع نفسه، ص 287.

(27) المرجع نفسه، ص 294.

(28) المرجع نفسه، ص 294، 295.

(29) مختار زواوي، دوسوسير جديد –مدخل إلى اللسانيات، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2017، ص 159.

(30) المرجع نفسه، ص 159، 160.

(31) مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 276.

(32) المرجع نفسه، ص 278.

(33) فرديناند دوسوسير، في جوهري اللغة، ص 48.

(34) المرجع نفسه، ص 121.

(35) ينظر: المرجع نفسه، ص 122.

(36) المرجع نفسه، ص 122، 123.

(37) المرجع نفسه، ص 123، 124.

(38) ينظر: المرجع نفسه، ص 124.

(39) ينظر: المرجع نفسه، ص 246، 247.

(40) المرجع نفسه، ص 247.

7–المراجع:

(1) حسين السوداني، أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي –التلقي العربي للسانيات–، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط1، 2019.

(2) فرانسوا راستي، سوسير في المستقبل، ترجمة: ربيعة العربي وحافظ إسماعيلي علوي، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2021.

(3) فرديناند دوسوسير، في جوهري اللغة، تحقيق: سيمون بوكي ورودلف أنغلر، ترجمة: مختار زواوي، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2019.

(4) فرديناند دوسوسير، نصوص في اللسانيات العامة، تحقيق: سيمون بوكي ورودلف أنغلر، ترجمة: مختار زواوي، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2021 .

(5) مختار زواوي، دوسوسير من جديد –مدخل إلى اللسانيات، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2017 .

(6) مصطفى غلفان، دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير (نشره 1916) –قراءة نقدية في ضوء المصادر والأصول، مجلة أنساق، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، المجلد الثاني، العدد الأول، فبراير 2018.

(7) مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2017.

(8) ميشال أريفيه، البحث عن فردينان دوسوسير، ترجمة: محمد خير البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

(9) وليام كراسكو، النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف دي سوسير، ترجمة: محي الدين محسب، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2017.